ماذا يعني نفاد صبر تركيا تجاه إسرائيل؟

الخميس 24 يوليو 2025 01:00 م

كتب: سمير العركي

سمير العركي

كاتب وباحث في الشؤون التركية

لم يكن العـدوان الإسـرائيلي على سوريا يوم السادس عشـر من يوليو الجاري، الأولَ من نوعه، لكنه كان الأعنف شـكلًا ومضـمونًا، إذ امتدت الغارات الإسـرائيلية من السويداء ودرعا إلى دمشق، واسـتهدفت بشـكل مباشـر قوات وزارتَي الدفاع والداخلية، إضافة إلى تدمير مبنى هيئة الأركان في العاصمة السورية بشكل كامل تقريبًا.

خسائر الاستهداف الإسرائيلي لم تتوقف عند الأضرار المادية، بل امتدت إلى خسائر بشرية طالت القوات الأمنية على مستوى القادة والأفراد.

لكن كلمـة الرئيس السوري، أحمـد الشـرع، التي بُثّت في وقت مبكر من فجر السابع عشـر من يوليو، كانت إيـذانًا بوضع نقطـة النهايـة لهـذه الجولة من الصراع السوري الإسرائيلي، الذي يبدو أنه بدأ للتو مع انفتاح المستقبل على جميع السيناريوهات.

فالشـرع أشار في كلمته أنهم كانوا أمام خيارين، إما "الحرب المفتوحـة مع الكيان الإسـرائيلي على حساب الدروز وأمنهم وزعزعة اسـتقرار سوريا والمنطقة بأسرها"، وإما "فسح المجال لوجهاء ومشايخ الدروز للعودة إلى رشدهم وتغليب المصلحة الوطنية."

مؤكدًا أنه وحكومته قدموا "مصلحة السوريين على الفوضى والدمار"، فكان "الخيار الأمثل في هذه المرحلة هو اتخاذ قرار دقيق لحماية وحدة الوطن وسلامة أبنائه بناءً على المصلحة الوطنية العليا."

حيث تم اتخاذ القرار بتكليف بعض الفصائل المحلية ومشايخ العقل بمسؤولية حفظ الأمن في السويداء.

الشـرع في تعليله للقرار شدّد على أنه "تجنب انزلاق البلاد إلى حرب واسعة جديدة قد تجرّها بعيدًا عن أهدافها الكبرى في التعافي من الحرب المدمرة، وإبعادها عن المصاعب السياسية والاقتصادية التي خلّفها النظام البائد."

لكن وبعيـدًا عن حسابات الربح والخسارة، لأنه كما أسـلفنا القول فنحن إزاء جولة من حرب بدأت للتو، فإن ما حدث خلال اليومين الماضـيين من العدوان الإسرائيلي، سيلقي بظلاله الكثيفة ليس على سوريا وحدها، بل على عموم المنطقة وخاصة تركيا.

فأربعـة عشـر عامًا من الحرب في سوريا، عرضت تركيا لمخاطر جيوسياسـية وأمنيـة هائلـة، اضـطرت معها إلى إرسال قواتها إلى الشـمال السوري، بدءًا من 2016، لمنع تقسـيم سوريا والحيلولة دون منح تنظيم حزب العمال الكردسـتاني "PKK" ممرًا انفصاليًا يبدأ من القامشلي شرقًا إلى ساحل البحر المتوسط غربًا.

وكان سـقوط نظام بشار الأسد يوم الثامن من ديسمبر 2024 انتصارًا إستراتيجيًا عظيمًا ليس لقوات الثورة وحـدها، بل لتركيا أيضًا، التي بدأت تستعد لجني ثمار هذا الانتصار على المستويين: الإستراتيجي، والأمني.

لكن ما تفعله إسرائيل بعدوانها، يؤشّر إلى مخاطر جديدة قد تتعرض لها الدولة السورية، لن تتوقف آثارها عليها فقط، بل ستمتد بطبيعة الحال إلى تركيا.

من هنا، فإن الأمر يثير بطبيعته تساؤلات مهمة عن كيفية تعامل أنقرة مع تلك التهديدات الجديدة والجدية، وهل سـتقف مكتوفة الأيدي مكتفية بالتنديـد الإعلامي والتحركـات الدبلوماسـية؟ كمـا تمتـد التساؤلـت إلى جوهر الإجراءات التي يمكن لتركيا اتخاذها لمواجهـة تـداعيات التغول الإسرائيلي على سوريا والمنطقة بأسرها.

نفاد الصبر التركي

جاءت تصريحات وزير الخارجية، هاكان فيدان، محمّلة بغضب تركي واضح، إذ قال معلقًا على الاعتداء الإسرائيلي على سوريا:

"لقد نفد صبرنا، هذا كل ما سنتحدث عنه مع إسرائيل، فهي لا تريد السلام."

لكن ما معنى نفاد الصبر التركي؟

من المعلوم أنه ومنذ اندلاع طوفان الأقصى، وما نشهده من اعتداءات وحشية إسرائيلية على غزة، وبدرجة أقل على لبنان وسوريا (في زمن نظام بشار الأسد إلى الآن)، وعلى إيران مؤخرًا، فإن التقديرات التركية أن نار هذه الحرب قد تمتد إليها يومًا ما.

فالتصـريحات الرسـمية والحزبيـة، خاصـة الصادرة من الرئيس، رجب طيب أردوغان، ورئيس حزب الحركـة القومية، دولت بهتشـلي، تشـير بوضوح إلى إمكانية اندلاع مواجهات تركية إسرائيلية في أي وقت.

بل إن هذا التخوف كان أحد أهم الأسـباب التي دفعت بهتشـلي، أواخر العام الماضي، إلى إطلاق مبادرته لجعل تركيا خالية من الإرهاب، والتي تُوجت بإعلان حزب العمال حلّ نفسه، والبدء في تسليم أسلحته، وذلك من أجل توحيد الجبهة الداخلية.

هـذه المناقشات امتدت إلى أطروحات كتّاب وصـحفيين أتراك محافظين وقوميين، كما يمكن تتبعها على مواقع التواصل الاجتماعي من خلال المحتوى الذي ينشره ناشطون ومؤثرون أتراك.

والحاصل أن هناك قناعـة داخل تركيا بأن خيار الحرب مع إسـرائيل قـد يحدث في أي لحظة، لكنها في الوقت ذاته تعمل على تفاديه أو تأخيره قدر المستطاع.

فوزير الخارجيـة التركي، حـذر في تصـريحات صـحفية من السـياسات الإسـرائيلية، مؤكدًا أنها سـتؤدي إلى إلقاء "الجميع في النار"، بما فيهم إسرائيل.

مطالبًا المجتمع الدولي، وخاصة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ودول المنطقة، بإظهار حساسـية بالغة ووضع حد للتصـرفات الإسرائيلية، وإلا "فمن المؤكد أن عواقب وخيمة ستظهر في المنطقة"، وذلك حسب تعبير فيدان.

وإذا مـا لجأنـا إلى تحليـل مضـمون هـذا الخطـاب، فنحن إزاء عبـارات تم اختيارهـا بعنايـة ("نفـاد الصبر"- "وقوع الجميع في النـار"- "العواقب الوخيمة")، وهي بمثابة رسالة تحذير قوية من قبل أنقرة للمجتمع الدولي، وخاصة الولايات المتحدة، للتحرك قبل فوات الأوان ووقوع المنطقة كلها في الفوضى، وذلك بإيقاف التصعيد الإسرائيلي الجامح، الذي كان من المستحيل حدوثه واتساع نطاقه لولا الدعم اللامحدود من واشنطن والعواصم الأوروبية.

البدائل التركية

لا أبالغ إذا قلت إن تركيا تعيش وضـعًا إستراتيجيًا صـعبًا وحساسًا، في وقت كانت تحتاج فيه إلى تبريـد الجبهـة السوريـة لعـدة سـنوات، وعدم الصـدام مع الولايات المتحـدة ريثما تنتهي فترة ولايـة الرئيس، دونالـد ترامب، وذلك لتفكيك عـدد من الملفات الخلافيـة، أهمها إنهاء العقوبات الأميركيـة ضـد تركيا، وإعادة أنقرة مجـددًا إلى برنامـج طائرة "إف-35"، وغلق ملف حزب العمـال تمامًـا، إضافـة إلى تطوير ملف العلاقـات الاقتصادية وزيادة حجم التبادل التجاري.

لكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، وفرضت سياسات نتنياهو التوسعية والعدوانية تحديات كبيرة أمام صانع القرار في أنقرة.

إذ يمثل أي انفراط محتمل لعقـد الدولة السورية، تهديدًا مباشـرًا للأمن القومي في الأناضول، بل وسيسـمع صداه في العواصم الأوروبية، كما حدث في سنوات الحرب الأربع عشرة الماضية.

من هنا، فإن تركيا تحتاج- في تقديري- إلى عدد من الإجراءات ذات الطابع الإستراتيجي، وأهمها:

أولًا: بناء موقف موحـد مع دول المنطقـة، خاصة أن دول المنطقة تمتلك من أدوات التأثير العالمية ما يمكنها من إحداث ضـغوط حقيقية على الولايات المتحدة وأوروبا، وأهمها سـلاح الطاقة والتمويل المالي، إضافة إلى تحكم هذه الدول في العديد من الممرات الملاحية وطرق التجارة العالمية.

وتصريحات فيدان في هذا الصدد تشير إلى إدراك أنقرة أهمية هذا التحرك المشترك، إذ قال: "نجتمع مع الأردن والسعودية والأميركيين. نجتمع ونُجري تقييمات جدية، يجب على الأطراف إدراك الصعوبات التي سيسببها هذا (نتنياهو) للمنطقة."

فعقب العدوان الإسـرائيلي على إيران، سارعت تركيا إلى عقد اجتماع لوزراء خارجية منظمة التعاون الإسـلامي في إسـطنبول، واليوم تحتاج سوريا إلى إظهار مثل هذا التضامن، الذي هو في حقيقته رسالة دعم غير مباشرة للأمن القومي التركي.

ثانيًا: مسارعـة تركيا لإنهاء ملف قوات سوريا الديمقراطيـة "قسَـيد"، فوجود هـذه القوات الانفصالية على الحدود السورية التركية، يمثل شوكة في خاصـرة الأمن القومي التركي، خاصة في ظل تواصلها الوثيق مع تل أبيب، التي تحاول تدشين ممر آمن يمتد من جنوب سوريا إلى شمال شرقها، لتمويل ودعم "قسد."

خطورة هـذه المليشـيات تكمن في دعمها التحركات الانفصاليـة داخل سوريا، كما حدث في أحداث السويداء الأخيرة، وكما تابعناها في أحداث الساحـل السـوري في مـارس/ آذار الماضـي، ومن ناحيـة أخرى تحـاول كسب الوقت ريثمـا تنتهي ولايـة ترامب، ودخول إدارة جديـدة الـبيت الأـبيض، ربما تكون من الـديمقراطيين، الـذين يرتبطون معها بعلاقات أشـد موثوقيـة، خاصـة أن علاقـة الإدارات الديمقراطيـة بتركيا كثيرًا ما يشوبها التوتر وعدم الانسجام.

كل هـذا تـدركه تركيا بوضوح، لـذا كانت تحـذيرات فيـدان لهم قوية وواضـحة، إذ قال: "هناك شائعاتٌ أيضًا عن انخراط وحدات حماية الشـعب (الكرديـة)، في أنشـطةٍ ما. رسالتنا لهم هي توخي الحـذر، وعـدم اسـتغلال الاضـطرابات وتعقيـد العمليـة الحرجة والحساسة في سوريا أكثر، والاضطلاع بدورٍ متسقٍ وبنّاء، وإلا فإن الانتهازية تحمل معها مخاطرةً كبيرة."

وإذا كـانت تركيا تأمل أن تكون تلك المجموعات "السوريـة" جزءًا من عمليـة الحل مع حزب العمال، وذلك بإعلان حل نفسـها وإلقاء السـلاح، فإنها تدرك في الوقت ذاته أنها قد تضطر إلى إنهاء الملف بنفسها، أو بتعاون مشترك مع القوات الحكومية السورية.

ثالثًا: الارتباط مع الدولة السورية باتفاقية دفاع مشترك، تسمح لتركيا بالوجود الشرعي لقواتها، كما تمنحها حقوق إعادة تأهيل وتدريب الجيش السوري.

فرغم كثرة الحديث عن مثل هذه الاتفاقية منذ سقوط نظام بشار الأسد، لكن يبدو أن ثمة "حساسيات" و"حسابات" إقليمية حالت دون إنفاذها حتى اللحظة.

لكن العـدوان الإسـرائيلي على سوريا، أبان بوضوح الحاجة إلى هذه الاتفاقية، ليس لحماية سوريا ومقدراتها فقط، بل لضـمان اسـتتباب الأمن القومي التركي أيضًا.

والخلاصة

أن العدوان الإسـرائيلي مؤخرًا على سوريا، هو بمثابة إنذار مبكر لتركيا لاتخاذ التدابير والإجراءات اللازمة؛ تحسـبًا لأي مواجهة مع إسـرائيل قد تندلع فجأة.

تقارير

من باع ..مرسي ولا السيسي؟: الإمارات تستحوذ على 85% من إيرادات مشروع لوجستي بـ"قناة السويس" لـ50 عاما!!!

الثلاثاء 6 مايو 2025 11:00 م

تقارير

التوقيت الصيفي ..مزيد من الإرباك للمصريين بلا جدوى اقتصادية

الجمعة 25 أبريل 2025 07:00 م

مقالات متعلقة

التطهير العرقي هدف حرب الإبادة الفاشية على غزّة

هل اختار ترامب الإبادة بديلاً للتهجير؟

حرب نتنياهو العبثية

6 عوامل أفشلت الانقلاب في سوريا

- التكنولوجيا
- دعوة
- التنمية البشرية

- الأسرة
- ميديا

- الأخبار
- المقالات
- تقارير
- الرياضة
- تراث
- حقوق وحريات

إشترك أدخل بريدك الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة لموقع نافذة مصر 2025 ©